مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة
تربية وعلوم إنسانية
Issn: 2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e-copy
IF: Ref.No: 2020J101
DOI: 1018756/2020J101
code ARCI-2007-1110

العـدد الخاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي للانجازات البحثية الحديثة
المنعقد الكترونياً بتاريخ: 10-18/ 8 / 2020

تاريخ النشر: تشرين الثاني 2020

5- المصاحبة البيانيّـــة في الخطاب القُرآنيّ (لفظ القول أنموذجاً)

بقلم أ.د. نجاح حشيش بادع
Nagahhasheesh@utq.edu.iq
مديرية التربية – ذي قار
الاختصاص: اللغة العربية
Prof. Nejah Hasheesh Bade'a (Ph.D.)
Specialization: Arabic language
بقلم م.م. هند كامل خضير
hindkamel90@gmail.com
كلية التربية للبنات جامعة ذي قار
الاختصاص: اللغة العربية
asst.lec. Hind Kamil Khudair
Specialization: Arabic language

ملخص البحث

إن ما يذكي أهميّة التعبير القُرآنيّ، أنّ القُرآن الكريم كتاب معجز بتعبيره ونظمه، صالح لكلّ زمان ومكان بما فيه من الأسرار التعبيريّة والنظم عامّة وذلك يُشكّل محصلة لاستيعاب المتلقي وتأثره وفق منظومة الجماليات البلاغيّة والفرائد الأسلوبية التي يتضمّنها النصّ الكريم ويحتويها.

من بين التعابير التي تميّزت بالفرائد الأسلوبية وصف لفظ (القول)، إذ وصف في أربعة عشر وصفاً قُرآنيّاً على مستوى تسع عشرة آية قُرآنيّة، وقد وقعت تلك المصاحبات البيانيّة للقول بوصفه حدّا قوليا لفظيا أريد به تارة الفعل، وتارة أُخرى القول، إذْ شكّل القول في أغلب المصاحبات البيانيّة مطلباً أثيراً في الخطاب القُرآنيّ لكلّ عمل عبادي صالح على المستوى الدنيويّ والأخروي.

من هنا يُسلط البحث الضوء على مفردة القول ويناقش تصاحبها البيانيّ من خلال ثيمة الوصف في الاستعمال القُرآنيّ، وتأتي أهميّة البحث الموسوم (**المصاحبة البيانيّة في الخطاب القُرآنيّ (لفظ القول أنموذجاً)**؛ من حيث إنَّ تقنيّة البيان البلاغيّة قناة تواصلية إبلاغية للمتلقي يمكن من خلالها توصيل المُراد إلى ذهن المخاطب. فضلاً عن ذلك فإن الوصف هو أسلوب تصوير أمر يتجلى به الخطاب القُرآنيّ عامّة، ويتفاعل مع الأسلوب الوصفي، المكمّل البلاغيّ الذي يشكّل معطى قُرآنيّاً مهمّاً تتجلّى صوره على مستوى الخطاب القُرآنيّ، فالتركيب البياني للكلمة مع المصاحب الوصفي كشف لنا معاني قُرآنيّة ودلاليّة تضمنتها لفظة (قول) تساندها في ذلك المعطيات المعجمية

مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة
تربية وعلوم إنسانية
Issn: 2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e-copy
IF: Ref.No: 2020J101
DOI: 1018756/2020J101
code ARCI-2007-1110

العـدد الخاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي للانجازات البحثية الحديثة
المنعقد الكترونياً بتاريخ: 10-18/ 8 / 2020

تاريخ النشر: تشرين الثاني 2020

والسّياقية، التي تكشف عن أسرار التركيب اللغويّ الذي يُسهم في إعطاء المنتهى البياني للصفة المصاحبة للقول، وقد كشف البحث عن مصاحبات القول بنعوت مختلفة (**معروفاً، عظيماً، فصل، ثقيلاً، مختلف، قولاً من رب رحيم، ليناً، ميسوراً، سديداً، كريماً، الثابت، بليغاً، قولاً غير الذي قيل)** في سياقات مختلفة على سبيل (الدعوة إلى الحق، والكلمة الطيبة، والرّد الجميل، والعمل الصالح، ومخاطبة الظالمين)، وفي مقامات متعددة نحو (مقام المؤمنين، والمقامات العامة لكافة البشر).

ونالت صفة (معروفاً) نصيباً أكثر من بقية الصفات الأُخرى؛ لأنَّ المعروف: لفظ يُطلق على عمل أو قول صالح وخير، علماً أنّ مصاحبات القول الأُخرى لم تنفك عن حضور القول والعمل الصالحين في جميع النصوص، لذلك كان اختيارنا الأسلوب البياني في تركيب لفظة القول.

الكلمات المفتاحية: المصاحبة البيانية، الوصف، التعبير البلاغي)

Abstract

Graphic accompaniment in the Qur'anic discourse (pronouncing the saying as a model).

What fuels the importance of Qur'anic expression is that the Noble Qur'an is a miraculous book with its expression and organization, valid for every time and place with its expressive secrets and systems in general.

Among the expressions that were distinguished by the stylistic merits is the description of the word (say), as it was described in fourteen Qur'anic descriptions at the level of nineteen Qur'anic verses. These graphic collocations occurred as a verbal limit by which sometimes the action wanted, and at other times the saying. Graphic collocations are an essential requirement in the Qur'anic discourse for every good devotional work on the worldly and eschatological level.

From here the research sheds light on the vocabulary of words and discusses its graphic accompaniment through the description theme in the Qur'anic usage, and the importance of the tagged research (the graphic accompaniment in the Qur'anic discourse (pronouncing the saying as a model) comes in terms of the rhetorical articulation technique as a communicative communication channel for the recipient through which

مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة
تربية وعلوم إنسانية
Issn: 2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e-copy
IF: Ref.No: 2020J101
DOI: 1018756/2020J101
code ARCI-2007-1110

العـدد الخاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي للانجازات البحثية الحديثة
المنعقد الكترونياً بتاريخ: 10-18/ 8 / 2020

تاريخ النشر: تشرين الثاني 2020

the desired can be communicated. To the mind of the addressee, in addition to that, the description and the style of depiction is a matter in which the Qur'anic discourse is manifested in general, and interacts with the descriptive style, which complements the rhetoric that constitutes an important Qur'anic statement whose images are manifested at the level of the Qur'anic discourse. (Saying) is supported in this by the lexical and contextual data, which reveal the secrets of the linguistic structure that contributes to giving the graphic end to the characteristic accompanying the utterance. Soft, affluent, good, generous, steadfast, eloquent, a word other than what was said (in different contexts for the sake of) calling for the truth, a good word, a beautiful response, and a good deed And addressing the oppressors), and in various shrines towards (the shrine of the believers, and public shrines for all human beings).

The adjective (well-known) received a share more than the rest of the other adjectives, because the well-known: a term used to refer to a good and good deed or utterance, noting that the other accompanying words have not ceased to be present in the saying and righteous deeds in all texts, so our choice was the graphic method in the composition of the word saying .

(**Keywords:** graphic accompaniment, description, rhetorical expression).

تمهيـــــد

الحدّ اللغويّ والاصطلاحي لمفردة القول

الحدّ اللّغويّ

أوردت المعاجم العربية لفظ القول تحت مادّة **(ق و ل)**، فقد قال الخليل (ت: 175هـــ): ((القول: المقْوَلُ: اللِّسَانُ ... والأقيال والأقوال: الواحد، وقَوّالٌ وقَوّالةٌ أي كثير القوْل)) (الفراهيدي، 2003، مادّة (قول): 443/3)، وأيضاً قال بهذا الأصل ابن فارس(ت: 395هـــ)، **القوْل**: ((القَافُ والوَاوُ واللَّامُ أصلٌ واحدٌ صحيحٌ يقلُّ كلمُهُ وهو القَوْلُ من النُّطْقِ . يُقَالُ: قالَ يقولُ قَوْلاً . والمقْوَلُ اللِّسَانُ. ورجلٌ قُوَلةٌ وقَوَّالٌ: كثير القَوْلِ)) (ابن فارس، 1979، مادّة (قول)، 42/5).

مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة
تربية وعلوم إنسانية
Issn: 2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e-copy
IF: Ref.No: 2020J101
DOI: 1018756/2020J101
code ARCI-2007-1110

العدد الخاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي للانجازات البحثية الحديثة
المنعقد الكترونياً بتاريخ: 10-18/ 8 / 2020

تاريخ النشر: تشرين الثاني 2020

وتدور مادّة **(ق و ل)** التي يرجع إليها اللفظ (قول) في اللغة حول معانٍ عدّة، حيث يُوردها الراغب الأصفهاني (ت: 502هـ) في سبعة معانٍ: ((في المركب من الحروف المُبرز بالنطق مفرداً كان أو جملةً، والإلهام، والاعتقاد، والعناية الصادقة بالشيء، والدلالة على الشيء، وللمتصوّر في النفس قبل الإبراز باللفظ قولٌ فيقالُ في نفسي قولٌ لم أظهرهُ، وما يستعمله المنطقيون في معنى الحدّ من قولهم: قولُ الجوهرِ كذا)) (يُنظر: الراغب الأصفهاني، 2009، مادّة (قول): 544 و545)، . وعرّف القولُ، قائلاً: القولُ والقيلُ واحدٌ ... وتسميتُهُ قولاً كَتَسميتِهِ كلمةً، والقول يكون للمفرد والمركّب، فالقصيدة والخطبة وما شابههما تسمّى قوْلاً، والاسم والفعل والأداة تُسمّى قوْلاً(يُنظر: م.ن، مادّة (قول)، 544 و545).

وعند ابن منظور (ت: 711 هـ) **القَوْلُ:** هو الكلام، ولكنّ هذا الكلام يقتضي الترتيب، فقد قال: ((القَوْلُ: الكَلامُ على التَّرْتيبِ، وهو عند المحقّق كُلُّ لفظٍ قالَ به اللِّسانُ تامّاً كان أو ناقِصاً . تقولُ: قالَ يقُولُ قَوْلاً، والفاعلُ قائِلٌ، والمفعولُ مَقُوْلٌ)) (ابن منظور، 2011، مادّة (قول)، 42/ 3777) .

وفي التحقيق لمادّة **القَوْل**، يرى حسن مصطفوي أن القول: لفظ عامّ يجري في كلّ الموجودات من الإنسان والحيوان، ومقامات أُخرى تتحصّل صورة القول في صور منها منطقا أو بإلقاء أو بوحي أو بإلهامأو بإرادة أو بصوت مخصوص أو بحالة مخصوصة أو بحركة معيّنة أو بإيجاد أمر تكويني، نحو قوله تعالى: ﴿**قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوالِآدَمَ فَسَجَدُوا**...﴾ (يُنظر: حسن المصطفوي، 1430 هـ، مادّة (قول): 9/ 377) و (الآية، سورة البقرة، 34)، فالأصل الواحد في المادّة) (هو: إبراز ما في القلب وإنشاؤه بأيّ وسيلة كانوهذاالمعنى يختلف باختلاف الطرفين من جهة التفهيم والتفاهم. فالقَوْل غير مخصوص بالإنسان وبالأذن واللسان، بل يجري في أيّ مقام ومرحلة من عوالم اللاهوت والعقول والملائكة والإنسان والحيوان وسائر الطبيعيّات ... فالقول من اللّه المتعال- كما في: ﴿ **إِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ ...**﴾، ومن الحيوان- كما في: ﴿ **قالَتْ نَمْلَةٌ يا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا**﴾، ومن الطير- كما في: ﴿ **فَقالَ أَحَطْتُ بِما لَمْ تُحِطْ بِهِ وجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ**﴾، ومن الجنّ- كما في: ﴿ **فَقالُوا إِنَّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً**﴾، ومن إبليس- كما في: ﴿ **قالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ**﴾ **...** فالقول من اللّه العزيز يتصوّر بأيّ نوع يناسب حال الطرف في جهة التفهيم، وفي عالم المجرّدات والملائكة: بالإلهام والإلقاء. وفي الإنسان: بالمنطق أو بإشارات متداولة كما في الأخرس. وفي الحيوان: فبصوت أو حركة أو حالة مجبولة في كلّ صنف منه...)) (م.ن، مادّة (قول)، 9/ 376 و377).

الحدّ الاصطلاحي

القَوْلُ: ((هو اللفظ المركّب في القضيّة الملفوظة أو المفهوم المركّب العقليّ في القضيّة المعقولة)) (الجرجاني، 1405 هـ، 208)، وعُرّفأيضا بأنه الألفاظ التي يُبنى منها الكلام سواء أكان مفرداً أو مُركّباً (يُنظر: ابن منظور، مادّة (قول)، 42/ 3777)، وعليه هناك مفاهيم تشاطر مفردة القَوْل من

مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة
تربية وعلوم إنسانية
Issn: 2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e-copy
IF: Ref.No: 2020J101
DOI: 1018756/2020J101
code ARCI-2007-1110

العـدد الخاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي للانجازات البحثية الحديثة
المنعقد الكترونياً بتاريخ: 10-18/ 8 / 2020

تاريخ النشر: تشرين الثاني 2020

نحو (الكلام، الكلمة والعبارة)، وقد فرّق العسكري، بين كلّ من المفاهيم أعلاه وبين مفردة القَوْل، قائلاً: ((القول يقتضي المقول بعينه مفرداً كان أو جملة أو ما يقوم مقام ذلك، ولذلك تعدَّى تعدّياً مُطلقاً ولم يتعدَّ إلى غير المقول)) (أبو هلال العسكري، 2013، 24)، بينما العبارة قد تتعدّى إلى معنى القول بحرف، نحو: عبرت عنه يُنظر: م.ن، 24)، وقد قال الجرجاني عبارة النصّ هي: ((النظام المعنويّ المسوق له الكلام وسميت عبارة لأنّ المستدل يعبر من النظم إلى المعنى والمتكلم من المعنى إلى النظم فكانت هي موضع العبور فإذا عمل بموجب الكلام من الأمر والنهي يسمّى استدلالاً بعبارة النصّ)) (الجرجاني، 1405 هـ، 16)، فالعبارة عن الشيء هي ((الخبر عنه بماهو عليه من غير زيادة أو نُقْصان)) (أبو هلال العسكري، 2013، 24) وهي بذلك تختلف عن الكلمة من حيث إنّ الكلمة الواحدة هي جملة من الكلام، وعليه سميت القصيدة كلمة؛ لأنّها واحدة من جملة القصائد (يُنظر: م.ن، 24)، وقد عرّفها الجرجاني اصطلاحياً بـ((اللفظ الموضوع لمعنى مفرد وهي عند أهل الحق ما يكنى به عن كل واحدة من الماهيات والأعيان بالكلمة المعنوية والغيبية والخارجية بالكلمة الوجودية والمجردات بالمفارقات)) (الجرجاني، 1405 هـ، 215)، أمّا الكلام فهو ما يتعلّق بالمخاطَبَ فاعله المتكلّم، ومن ثم فهو مفهوم عامّ، لكنْ ليس كلّ كلام خطاباً للغير (يُنظر: أبو هلال العسكري، 2013، 23).

من هن، فإن الكلام والكلمة والعبارة هي ألفاظ كما هو القول، ومن ثم فالقول والكلام كلاهما إخبار أو إعلام من طرف المتكلّم إلى طرف المخاطب، أي إن الإخبار يخصّ المتكلم وغيره، فتخبر به عن نفسك وعن غيرك، وقد قال العسكري من خلال الفرق بين الخبر والحديث، قائلاً: ((إنّ الخبر والقول الذي يصحُّ وصفه بالصدق والكذب)) (م.ن، 27) .

المصاحبة الوصفيّة للقول في البيان القُرآنيّ

تعد المصاحبة كما هو معلوم ارتباطا واتصالا يرافق الكلمة، ومن ثم بيانا وتفسيرا يوضّح غموض الكلمة أو يشرح غريبها. فهي جزء من الإطار العام للكلمة ترتبط ارتباطاً خارجياً بها فضلاً عن الارتباط الضمني أي الداخلي(يُنظر: لواء عبد الحسن عطية، 1971، 5). وعليه تعد المصاحبة حلّة أو فضلة تكسو اللفظ معنىً جديداً يزيده جمالاً وبلاغة، فضلاً عمّا تتجلّى به مهام التفسير البياني للكلمة.

وبما أن استعمال الكلمة في سياق معيّن، هو ما يُحدد للكلمة قيمتها الحضورية أو يضفي عليها معنى واحداً من معانيها المختلفة، فالمفردة -عامّة – بحسب مفهوم المصاحبة تمثيل إلى التصاحب بنحو انتقائي في التعبيرات بمعنى أن اللفظ أو المفردة لا تتصاحب مع المفردة الأُخرى كلها، بل تتصاحب مع مفردات من نوع معيّن، وعليه تكون هذه المصاحبة جزءاً مهمّاً من معنى الكلمة (يُنظر: م.ن، 28).

مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة
تربية وعلوم إنسانية
Issn: 2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e-copy
IF: Ref.No: 2020J101
DOI: 1018756/2020J101
code ARCI-2007-1110

العـدد الخاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي للانجازات البحثية الحديثة
المنعقد الكترونياً بتاريخ: 10-18/ 8 / 2020

تاريخ النشر: تشرين الثاني 2020

وبما أن التصاحب يعطي خاصية البيان والوضوح للكلمة المصاحبة، فإن للوصف تقنية فعّالة في باب التعبير في البيان عن الموصوف، إذ يذكر أهل البلاغة والنقد أن الوصف هو ((ذكر الشيء كما فيه من الأحوال والهيئات. ولما كان أكثر وصف الشعراء إنما يقع على الأشياء المركّبة من ضروب المعاني كان أحسنهم من أتى في شعره بأكثر المعاني التي الموصوف مركب فيها، ثم أظهرها فيه وأولاها، حتى يحيكه بشعره، ويمثله للحس بنعته)) (قدامة بن جعفر، 1978، 41)، فالوصف تقنية فنيّة تتضمنها فنون النظم والنثر جميعها.

وممّا لا شكَّ فيه أن المصاحبة البيانية بأسلوب الوصف لها أهميّة كبيرة؛ إذ تسمو باللفظ إلى أعلى مراتب التأثير والإبلاغ، وسنحاول تسليط الضوء على المصاحبات الوصفيّة للقول في الخطاب القُرآنيّ التي يمكن إيرادها في الجدول الآتي:

ت	وصف القول	عدد وروده في الخطاب القرآنيّ	اسم السورة التي ورد فيها ورقم الآية
1	قولاً معروفاً	ثلاث مرات	سورة البقرة الآية : 235 ، وسورة النساء الآيتان: 5و 8
2	قولاً معروفٌ	مرتان	سورة البقرة الآية : 263 ، وسورة محمد الآية : 21
3	قولاً سديداً	مرتان	سورة النساء الآية : 9 وسورة الأحزاب الآية : 70
4	قولاً غير الذي قيل	مرتان	سورة البقرة الآية : 59، وسورة الأعراف الآية : 162
5	قولاً ميسوراً	مرّة واحدة	سورة الإسراء الآية : 28
6	القول الثابت	مرّة واحدة	سورة إبراهيم الآية : 27
7	قول مختلف	مرّة واحدة	سورة الذاريات الآية : 8
8	قولاً ليناً	مرّة واحدة	سورة طـــــه الآية : 44
9	قولاً من رب رحيم	مرّة واحدة	سورة يس الآية : 58
10	قولاً كريماً	مرّة واحدة	سورة الإسراء الآية 23
11	قولاً ثقيلاً	مرّة واحدة	سورة المزمل الآية : 5
12	قوْلٌ فصلٌ	مرة واحدة	سورة الطارق الآية : 13
13	قولاً عظيماً	مرّة واحدة	سورة الإسراء الآية :40
14	قولاً بليغاً	مرة واحدة	سورة النساء الآية : 63

مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة
تربية وعلوم إنسانية
Issn: 2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e-copy
IF: Ref.No: 2020J101
DOI: 1018756/2020J101
code ARCI-2007-1110

العدد الخاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي للانجازات البحثية الحديثة
المنعقد الكترونياً بتاريخ: 10-18/ 8 / 2020

تاريخ النشر: تشرين الثاني 2020

1- قولاً ثقيلاً

في قوله تعالى: ﴿**إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا** ﴾ (سورة المزمّل، 5) .

بما أنّ الخطاب القُرآنيّ يتأنق في اختيار ألفاظه، لذلك نجد كلّ كلمة تحمل للمخاطب معنى جديداً ؛ لما تبعثه بلاغة الكلمة في النفس من إيحاءات خاصّة (يُنظر: د. أحمد أحمد بدوي، 2005، 5)، وعليه جاء القول هنا مصاحباً لصفة تحمل دلالة جديدة تختلف عن سابقتها من الصفات، وبالطبع لهذه المصاحبة دلالة بيانيّة أراد الخطاب من خلالها فائدة بلاغية، تبعاً لما يعنيه الموصوف من شأن، فقوله تعالى: ـ(**قَوْلًا ثَقِيلًا**)، أُريد به هنا القُرآن الكريم كما أدلت به جميع التفسيرات القُرآنيّة (يُنظر: الزمخشري، 1998، 6/ 242، وابن عطيه، 2001، 378/5، والرازي، 1981 30/ 174، والأندلسي، 1994، 354/8، والآلوسي، (ب.ت). 9/ 104، وابن عاشور، 1984، 261/29، والبقاعي، (ب.ط)، 206/8، والشيرازي، 2009، 19/ 78)، وصفة (**ثَقِيلًا**) أُريد به بيان مدى القوّة الإعجازيّة التي يحويها هذا الكتاب العظيم من جهات متعدّدة على سبل متنوعة من الأمر، فالثقل صفة ليس لقول القُرآن ونظمه فحسب، بل لكلّ القُرآن وجلّ ما فيه، فقد قال الزمخشري المراد من صفة الثقل التي أنيطت للقُرآن ؛لما ((فيه من الأوامر والنواهي التي هي تكاليف شاقّة ثقيلة على المكلّفين خاصّة على رسول الله(ﷺ) ...)) (الزمخشري، 6/ 242)، وقال غيره من المفسّرين من نحو ابن عاشور، وسيد قطب من المحدثين، عندما إنه "ثقيل" في ميزان الحقّ وفي أثره في القلب (سيد قطب، 1412 هـ، 6/ 3745)من جهة، ومن جهة أُخرى أنيطت صفة الثقل به لما فيه من((رزانة لفظه لامتلائه بالمعاني مع جلالة معناه وتصاعده في خفاء فلا يفهمه المتأمل ويستخرج ما فيه من الجواهر إلا بمزيد فكر وتصفية سرّ وتجريد نظر)) (البقاعي، 206/8)، وعليه فكان ثقل القول يراد به ((القُرآن المجيد بأبعاده المختلفة ... ثقيل بلحاظ المحتوى ومفاهيم الآيات ... ثقيل بلحاظ الوعد والوعيد وبيان المسؤوليات، ثقيل بلحاظ التبليغ ومشاكل طريق الدعوة ...)) (الشيرازي، 78/19).

فالخطاب القُرآنيّ لمّا أراد بيان عظمة القُرآن الكريم اختار ما يناسب تلك العظمة، وقد علل الرازي إعطاء هذهِ الصفة للقُرآن ((بكونه ثقيلاً عظم قدره وجل خطره، وكلّ شيء نفس وعظم خطره، فهو ثقل وثقيل وثاقل)) (الرازي، 30/ 174).

قد يتساءل لماذا لم يقل قولاً كبيراً نعتاً للفظة القول؟ وقال: قَوْلاً ثقيلاً، فالجواب: إن بلاغة القُرآن تستلزم الدقة البيانيّة في اختيار ألفاظها، فلعلّ قوله: (ثقيلاً) بدل كبيراً، يعطي إشعاراً بأنّ الثقل من الأمور التي يكون للمظهر الحسيّ مدخل في شأنها، فلفظ الثقل ممّا يُشعر به ويحسّ، وهذا يدلّ على توخي الغاية في الدقة في استعمال الخطاب.

مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة
تربية وعلوم إنسانية
Issn: 2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e-copy
IF: Ref.No: 2020J101
DOI: 1018756/2020J101
code ARCI-2007-1110

العـدد الخاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي للانجازات البحثية الحديثة
المنعقد الكترونياً بتاريخ: 10-18/ 8 / 2020

تاريخ النشر: تشرين الثاني 2020

2- قَوْلٌ فصلٌ

قوله تعالى: ﴿ **إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ** ﴾ (سورة الطارق، 13) .

وفي بيان شأن الموصوف نفسه، يأتي لفظ القول مصاحباً لصفة أُخرى وهي (فَصْلٌ) التي أتى إطارها البيانيّ في بيان أهميّة القُرآن وعظمته، لكن يبقى ((للكلمة في موضعها من القُرآن سرّها البيانيّ الفريد الذي لا تؤديه كلمة أُخرى تبدو قريبة منها أو مرادفة)) (د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطى)، 1979، 269)، فالبيان القُرآنيّ في وصفه للقول هنا (القُرآن) بـــ(ثقيلاً) مرّة، وبـــ(فصلُ) مرّة أخرى إنّما يجلو معاني الحقّ والعظمة والهداية والهدى بمعنويات من اللغة من مختلف درجاتها.

الفَصْلُ: الأصل اللغويّفي مادّة فصل هو التمييز والفرق، فقد أورد الخليل الحدّ اللغويّ فيه، قائلاً: الفَصْلُ: ((بَوْنُ ما بين الشَّيئين ... والفَصْلُ القضاء بين الحقِّ والباطل، وحكمٌ فاصِلٌ)) (الفراهيدي، مادّة (فصل)، 324/3)، وقال ابن فارس: ((الفاء والصاد واللام كلمةٌ صحيحةٌ تدلُّ على تمييز الشَّيء من الشَّيءِ وإبانته عنه . يقال: فصلتُ الشَّيءَ فصلاً)) (ابن فارس، مادّة(فصل)، 4/ 505)، وفي التحقيق لمادّة الفَصْلُ قيل هو أعم من أنْ يكون في المادّيّات من نحو الثوب والكتاب، أو في المعنويّات من نحو فصل الحقّ عن الباطل، فالفصل يأتي في المحسوس والمعقول وفي المقول (يُنظر: حسن مصطفوي، مادّة (فصل)، 9 /105)، كما ورد هنا في النصّ الكريم.

فمصاحبة القول البيانيّة بـــ(فصل) حملت تلك الدلائل اللغويّة من البون والتمييز والإبانة، وقد جاءت القراءات التفسيريّة حاملة لتلك الدلالة، فقد قال ابن عطية: القول في القُرآن من حيث إنَّ القَوْل في جزء منه والحال يقتضيه، ومعناه جزم فصل الحقّ عن الباطلِ ي(نظر : ابن عطية، 2001، 5/ 467)، وقد قال بهذا التفسير الكثير من المُفسّرين ممن سبق ابن عطيه كالزمخشري (6/ 355)، ومن تبعه نحو(الرازي، 134/31، وأبي حيّان الأندلسي، 451/8)، وعلّل الطباطبائي المصاحبة البيانية لصفة (فصل)، قائلاً: ((الفصل إبانة أحد الشيئين من الآخر حتى يكون بينهما فرجة، والتعبير بالفصل -والمراد الفاصل – للمبالغة كزيد عدل والهزل خلاف الجد)) (الطباطبائي، 1997، 20/ 292 و293).

وبما أنّ القول الفصل – كما يراه الشيرازي – هو القول أو الحديث الذي يفرّق بين الحق والباطل (يُنظر: الشيرازي، 20/ 72)، كما أدلت به معاجم اللغة، فإننا نجد أنّ تلك المصاحبة المتمثلة بنعت القول بـــ(فصل) للقول تعطي بيان عظمة القُرآن من جانب واحد أو جزء منه خلاف الآية السابقة (قولاً ثقيلاً) التي شملت كتاب القُرآن بصورة كليّة من جهات متعدّدة متنوعة، وهنا شملت جزئية واحدة من حيث إنّه قول يُفرّق به بين الحقائق والأباطيل، فالفصل نعت أُريد به القول، ولما له من ((العراقة في الفرق بين الحقّ والباطل ما صار به يُطلق عليه نفس الفصل)) (البقاعي، 391/8).

مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة
تربية وعلوم إنسانية
Issn: 2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e-copy
IF: Ref.No: 2020J101
DOI: 1018756/2020J101
code ARCI-2007-1110

العـدد الخاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي للانجازات البحثية الحديثة
المنعقد الكترونياً بتاريخ: 10-18/ 8 / 2020

تاريخ النشر: تشرين الثاني 2020

من هنا كانت لبلاغة القُرآن البيانيّة براعة اختيار اللفظ ووضعه في محلّه المناسب.

3- قول مختلف

قوله تعالى: ﴿ **إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ** ﴾(سورة الذاريات، 8) .

عندما النظر إلى هذا النصّ نجد أنَّ هذه الصفة تتساوق مع السّياق الذي جاءت فيه، من حيث إنّ المناسبة التي وردت فيها هي مخاطبة الكافرين الذين يرمون القُرآن الكريم والرسالة السماوية التي جاء بها رسول الله (ﷺ) بالكذب والسخرية ؛ بوصفهم ينطلقون من الشرك والانحراف والاتهام ما يعكس سلوكهم وتصرفاتهم تجاه الدّين، وعليه وصف قولهم بأنّه ((لا يكون مستوياً، إنّما يكون متناقضاً مختلفاً)) (أبو حيان الأندلسي، 134/8)، فالمراد من اختلاف قولهم، هو قولهم المختلف في ((أمر القُرآن لغرض إنكار ما يثبته فتارة يقولون: إنّه سحر والجائي به ساحر، وتارة يقولون: زجر والجائي به مجنون، وتارة يقولون: إلقاء شياطين الجن والجائي به كاهن، وتارة يقولون: شعر والجائي به شاعر ...)) (الطباطبائي، 370/18)، ومن هنا جاء إطلاق صفة الاختلاف في القول ((كناية عن لازم الاختلاف وهو التردد في الاعتقاد، ويلزمه بطلان قولهم وذلك مصب التأكيد بالقسم وحرف " إنّ" واللام)) (ابن عاشور، 342/26). وعليه فإن اختيار مصاحبة الوصف (مختلف) للقول هنا تجسّد الصورة التي يرسمها أولئك المشكّكون حول القُرآن والرسول وعدم الانتفاع منهما برسالة سماوية، وعدم التصديق يكمّل صورة الانحراف التي يريد النصّ الكريم أن يوضحها لهؤلاء الذين لا يؤمنون.

فضلاً عن ذلك، فإنّ هناك حالة من التساوق بين القسم بالسماء الموصوفة بذات الحبك وبين المقسم عليه بأنهم لفي قول مختلف، فالقسم ما يتميز بالثبات والمحكم والرصين بخلاف المقسم عليه الذي يتصف في مقابل الحبك بالتشظي وعدم الاستقرار والثبات، فهو يقسم بـــ((السماء المنسقة المحبوكة على أنهم في قول مختلف، مضطرب لا قوام له ولا قرار، ولا ثبات له ولا استقرار، يصرف عنه من صرف ويبقى عليه من بقي، فلا استقرار عليه ولا توافق ولا ثبات، بل الحيرة دائمة والقلق لا يزال. وكذلك الباطل دائماً أرض مرجرجة مهتزة؛ وتيه لا معالم فيه ولا نور ؛ وهو يتأرجح ولا يفيء إلى أصل ثابت، وميزان دقيق، ولا يجتمع عليه أهله إلاّ لينصرفوا ويتفرقوا بعد حين ؛ ويدب الخلاف بينهم والشقاق. ويتضح اضطرابهم واختلافهم وما هم فيه من الأمر المريج حين يعرض في ظل السماء ذات الحبك المنسقة التركيب ... فهم في قول مختلف في هذا الحقّ المبين ثم يصوّر لهم ذلك اليوم في مشهد حيّ تتملاه العيون)) (سيد قطب، 3375/8و3376)، من هنا فدلالة القول هنا تحمل خصيصة الذّم في مقابل صفات القول الأُخرى.

مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة
تربية وعلوم إنسانية
Issn: 2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e-copy
IF: Ref.No: 2020J101
DOI: 1018756/2020J101
code ARCI-2007-1110

العدد الخاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي للانجازات البحثية الحديثة
المنعقد الكترونياً بتاريخ: 10-18/ 8 / 2020

تاريخ النشر: تشرين الثاني 2020

4- قولاً ليناً

قوله تعالى: ﴿**اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أو يَخْشَىٰ**﴾(سورة طه، 43و44).

لين في اللغة، يقال: ((في فعل الشّيء اللِّين: لان يَلينُ لِيناً ولياناً. وشيء لَيِّنٌ ولَيْنٌ، مخفّف مثل: هَيْنٌ)) (الفراهيدي، 2003، مادّة (لين)، 113/4).

وأصل اللين كلمة واحدة، وهي ما يقابل الخشونة والصلب وضدّهما من نظير السهل ضدّ الصعوبة، والرخو ضدّ الشدة، ومادّة اللين تسعمل في المادّيّ والمعنويّ، ومن هنا فاللين لفظ يقتضي اللين في القول والصحبة والعمل(يُنظر: حسن المصطفوي، مادّة (لين)، 10 /308 و309 و310).

تختلف صيغة التصاحب البيانيّة للقول باختلاف جهة التخاطب الموّجه إليها القول نفسه، وهذا من بلاغات الاستعمال القُرآني في ألفاظه وأسلوبه، ذلك ((أن تصوير الأمر المعنوي في صورة الشيء المحسوس يزيده تمكناً من النفس، وتأثيراً فيها)) (د. احمد أحمد بدوي، 57)، وبما أنّ توجيه تصاحب (اللين) (*) ((*" قد نقل الزمخشري: أنّ إطلاق قول اللين جاء في سياق اجتماعي ((لا تجبهاه بما يكره، وألطفا له في القول لما له حقّ تربية موسى، ولما يثبت له من مثل حقّ الأبوّة ...)) (الزمخشري، 84/4). هنا جاء في مقام الدعوة إلى طاعة الرب وعبادته، ومن ثم لهداية الطرف المقابل (فرعون)، فكأن إطلاق اللين صفة للقول جاءت لمرمى بيانيّ هو أن يكون اللين مخصّصاً هنا في قبال طغيان فرعون سبيلاً في دعوته إلى طاعة الحقّ، فالأمر بـــ((إلانة القول له لما في ذلك من التأثير في الإجابة فإنّ التخشين بادئ بدء يكون من أعظم النفور والتصلّب في الكفر والقول اللين هو الذي لا خشونة فيه ...)) (الشوكاني، (ب.ت)، 1005/3)، فسبيل الخطاب مع فرعون كان مجابهته بما يكره فهو إنسان طاغٍ ومن ثم لم يتقبّل الدعوة بسهولة فكان طريق القول اللين سلوكاً لمواجهته، فالمعروف ((أن كلّ من يريد دعاء إنسان إلى أمر يكرهه فإنّما الوجه أن يحرّر في عبارته المعنى الذي يريد حتى لا يخلّ به ولا يحزّ منه، ثم يجتهد بعد ذلك في أن تكون عبارته لطيفة ومقابلته لينه وذلك أجلب للمراد ..)) (ابن عطية، 4/ 45)، فالكلام اللين مرغوب ويتوقع عند كلّ من سمعه الإجابة والإنابة وعليه جاء الأمر الإلهي لموسى وهارون(عليهما السلام): (**فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا**) (يُنظر: ابن قيم الجوزية، (ب.ت)، 66)، من هنا كانت تلك العلّة البيانيّة من اختيار لفظ (اللين) من دون غيرها ؛ لتناسب مقامها الدلالي في الاستعمال المطلوب.

إذْ نجد قيمة مصاحبة اللين في تصوير إدخال الرّقة المرغّب بها إلى قلب (فرعون الطاغية) لما له –اللين- من الدلالة ((على معاني الترغيب والعرض واستدعاء الامتثال، بأن يظهر المتكلّم للمخاطب أن له من سداد الرأي ما يتقبّل به الحقّ ويميّز به بين الحقّ والباطل مع تجنّب أن يشتمل الكلام على تسفيه رأي المخاطب أو تجهيله)) (ابن عاشور، 225/16)، فمآل قول اللين من

مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة
تربية وعلوم إنسانية
Issn: 2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e-copy
IF: Ref.No: 2020J101
DOI: 1018756/2020J101
code ARCI-2007-1110

العدد الخاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي للانجازات البحثية الحديثة
المنعقد الكترونياً بتاريخ: 10-18/ 8 / 2020

تاريخ النشر: تشرين الثاني 2020

مقدّمات القبول أولاً ثم الإيمان ثانياً، فهو((لا يثير العزّة بالأثم ؛ ولا يهيج الكبرياء الزائف الذي يعيش به الطغاة . ومن شأنه أن يوقظ فيتذكّر ويخشى عاقبة الطغيان)) (سيد قطب، 4 /2336)، والمآل الثالث في إطلاق القول اللين، بوصفه سبيلاً لآمر المعروف من الأخذ بالأحسن، فالأحسن هو إلقاء الحجة على المخاطب(فرعون) لئلا يقبل له المعذرة، فجاء الخطاب مسبباً عن الانتهاء إليه ومعقّباً(البقاعي، 20/5) . وقد جاءت مصاحبة القول لصفة (ليّن) على سبيل المدح الذي هو أحد أغراض المراد من إطلاق الصفات.

ويشاكل هذهِ المصاحبة للقول، مصاحبة أخرى تشاطر صفة (اللين) في الدلالة:

5- قولاً ميسوراً

قوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ (سورة الإسراء، 28) .

ميسوراً، اسم مفعول مشتق من " يسر". هو ما يحمل معنى اللين والسهولة والخفّة، يُوصف به الإنسان والحيوان (يُنظر: الفراهيدي، مادّة (يسر)، 411/4، والفيومي، 1418 هـ، مادّة يسر: 351)، وله مفهوم واسع يستعمل على نطاق الكلام عامّة بما هو جميل وحسن مقترن بالإحترام والمحبّة .

فـــ(يسر) له أصلان كما يرى ابن فارس ((يدلّ أحدهما على انفتاح شيء وخفّته، والآخر على عضو من الأعضاء، فالأصل الأول هو ضدّ العسر ...)) (ابن فارس، 6/ 255)، وصاحب التحقيق يرى أن الأصل الواحد في هذه المادّة عامّة هو سهولة في سعة ويقابلها العسر، ومن آثار الأصل (الخفّة، والانفتاح، والغنى، والانقياد، واللينة، والسرعة في المتابعة، وحسن الجريان والسير في كلّ مورد) (يُنظر: حسن مصطفوي، 14 / 29) .

وتتساوق الدلالتان للقول في الآية السابقة مع هذهِ الآية من حيث دلالة القول فيهما على الدعوة إلى الحق، والدعوة إلى الإصلاح، فضلاً عن المصاحبة البيانية التي يتشاكل فيها اللين واليسر، فدلالتهما اللغوية تشير إلى معنى واحد من حيث الخفّة والسهولة والسعة، ولكن يبقى للاستعمال القُرآني بلاغته في الاختيار البيانيّ، فاختيار ميسور بدل لين، وإن كان (ميسور) يعطي دلالة لين نفسها، جاء لعلّة بيانية لا تعطيها دلالة لين في طريق الدعوة إلى الإصلاح، إذ إنّ المصاحبة البيانيّة لقول مقرون بـــ(ليّن) جاءت على سبيل الخطاب مع طاغية من طغاة الزمان وهو فرعون، فيتطلب التعبير بـــ(ليّناً) بدل الغلظة لإثارة العاطفة والرحمة في قلبه، لتلبية أو لاستجابة فرعون المخاطب لطلب موسى وهارون (صاحبي الدعوة) فكأن ليّناً أريد بها طلب شيء من المخاطب فأطلق التعبير بها.

أمّا قولاً ميسوراً فحملت سبيل اللين نفسه، ولكن((تتضمّن الدعاء في الفتح لهم والإصلاح)) (ابن عطية، 450/3)، أي للناس المساكين عامّة أصحاب الحوائج، فـــ(ميسوراً) جاءت على سبيل طلب

مجلة وميض الفكرللبحوث العلمية المحكمة
تربية وعلوم إنسانية
Issn: 2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e-copy
IF: Ref.No: 2020J101
DOI: 1018756/2020J101
code ARCI-2007-1110
العـدد الخاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي للانجازات البحثية الحديثة
المنعقد الكترونياً بتاريخ: 10-18/ 8 / 2020
تاريخ النشـر: تشرين الثاني 2020

الدعاء لهم بالإصلاح وبحسن التصرّف في إنفاق المال، وليس الطلب منهم فليست هناك استجابة منتظرة منهم، فإطلاق (ميسوراً) هو للعطف عليهم وإبعاد القول الغليظ عنهم، كما قال أبو حيّان أي قُلْ ((لهم قولاً سهلاً ليّناً وعدهم وعداً جميلاً رحمة لهم وتطييباً لقلوبهم)) (أبو حيّان الأندلسي، 1994، 28/6)، وأيضاً تابعه الطباطبائي في تفسيره: ((أي سهلاً ليّناً أي لا تغلظ في القول ولا تقل أفّ، بل رده بقول سهل ليّن)) (الطباطبائي، 13/ 81) . ففي الرد لهم بالقول الميسور عوض وأمل وتجمّل(سيد قطب، 2222/4)، وقد قال ابن عاشور القول الميسور هو: ((اللّيّن القول الحسن المقبول عندهم ؛ شبّه المقبول بالميسور في قبول النفس إيّاه؛ لأنّ غير المقبول عسير، أمر الله بإرفاق عدم الإعطاء لعدم الموجدة بقبول اللّيّن حسن بالاعتذار والوعد عند الموجدة ؛ لئلا يحملُ الأعراض على قلّة والاكتراث والشحّ)) (ابن عاشور: 83/15).

6- قولاً كريماً

قوله تعالى: ﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا** ﴾ (سورة الإسراء، 23).

أوردت معاجم اللغة صفة (كريم) تحت المحمل المحمود ؛ لأنّ كريماً هو اسم جامع لكلّ ما يحمد، فهو صفة محمودة، فالله كريمٌ حميدُ الفعالِ (يُنظر: الأزهري، مادّة (كرم)، 10/ 234) . وابن فارس يرد مادّة (كرم) إلى بابين من المعنى تحت أصل واحد ((الكافُ والرَّاءُ والميمُ أصلٌ صحيحٌ له بابان: أحدهما شرفٌ في الشّيءِ في نفسه أو شرفٌ في خُلُقٍ ... والآخر: الكرم القلادة ...)) (ابن فارس، مادّة (كرم)، 5/ 171و172). والأصل الواحد في (كرم) هو ما يقابل الهوان كما هو الحال في العزّة ومقابلتها للذّلة ي(يُنظر: حسن المصطفوي، مادّة (كرم)، 10/ 49).

ومما لا شكّ فيه أنّ استعمال (كريماً) هنا هو على محمل المحمود والمدح في سياقها العام، فضلاً عن المقام، ولا سيّما أن الخطاب بكريم جاء في ضمن أسس الترابط الاجتماعي (الأسري) وعلاقة الولد بوالديه، فقد قال ابن عاشور إنّ ((الكرم في كلّ شيء الصفات المحمودة في صنفه أو نوعه كما في قوله تعالى: ﴿ **إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ**﴾)) (سورة النمل، 29)، (ابن عاشور، 263/9، ويُنظر تفسيرهأيضا 15/ 70)، فكأن اختيار (كريماً) جاء مناسباً للمحل أو الموضع الذي جاء فيه ولفظة (كريماً) تخلع على المقام معنى الشرف والتبجيل لمقام الوالدين، وكما يعللّه سيد قطب عند وقوفه على الآية ((" **وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا** " مرتبة أعلى إيجابية أن يكون كلامه لهما يشيء بالإكرام والاحترام ... والرابطة الأولى بعد العقيدة هي رابطة الأسرة ومن ثم ربط سياق برّ الوالدين بعبادة الله ... "**وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ**" "**وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**" إعلاناً لقيمة هذا البرّ عند الله)) (سيد قطب، 4/ 2221) .

وقد جمع السّياق العام لكلمتين (**أفٍّ**)، و(**كريماً**) وكلاهما يحمل معنى يُراد إثباته، ومن ثم إثارته للسامع، فهذا الجمع يوحي للمخاطب(الأبناء) بالتضاد بين الكفران والنعمة، وبين الرفض والقبول ؛

مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة
تربية وعلوم إنسانية
Issn: 2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e-copy
IF: Ref.No: 2020J101
DOI: 1018756/2020J101
code ARCI-2007-1110

العدد الخاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي للانجازات البحثية الحديثة
المنعقد الكترونياً بتاريخ: 10-18/ 8 / 2020

تاريخ النشر: تشرين الثاني 2020

من حيث إنّ ((قول "أُفٍّ" للأبوين أردأ شيءٍ ؛ لأنّه رفضَهما رفضَ كفرِ النعمة، وجحدِ التربية، وردّ الوصية التي أوصاه في التنزيل، وأُفٍّ كلمةٌ مقولةٌ لكلِّ شيءٍ مرفوض)) (القرطبي، 59/13).
ولعلّ لهذا التضاد إشعاراً بلاغياً بيانيّاً فالجمع بينهما بيان المرتبة الأدنى من القول بالمحمول الدلالي لـــ"أُفٍّ" في مقابل المرتبة الأعلى من القول بالمحمول الدلالي لصفة " كريماً " فكان الانحطاط في مقابل التعظيم ؛ لذا عندما فُسّر القول الكريم قيل: ((هو قول العبد المذنب للسيد الفظ)) (ابن عطية، 448/3، والرازي، 194/20).
فما أعطته دلالة مصاحبة(كريماً) للقول ليس على حساب الاقتران بالكلام الحسن والجميل والتواضع، بل أضفت دلالة التعظيم لمقام المخاطب (الوالدين)، وهذا ما لا تستطيع أن تعطيه مصاحبة وصفيّة أخرى من المصاحبات التي اتصف بها القول من (عظيم، وثابت، وبليغ، و سديد، وغيرها) فصفة كريم في هذا السّياق تحمل دلالة المرتبة العليا ومرتبة الشرف التي تسمو بمن يتّصف بها.

7- قولاً عظيماً

قوله تعالى: ﴿ **أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا** ﴾ (سورة الإسراء، 40) .
العظيم: عظم ((أصل صحيح يدلُّ على كبر وقوّة، فالعظم مصدر الشيء العظيم ...)) (ابن فارس، مادّة (عظم)، 4 / 355)، فالعظيم ترافق دلالته اللغويّة مفهوم الكبر، إلاّ أنّ العظيم بوصف الكبير يقابل الصغير، وبانتفاء الصغير يتحقّق مفهوم الكبر (يُنظر: حسن مصطفوي، مادّة (عظم)، 8/ 214)، وعليه قيل الجليل: يقال في أسماء الله هو العظيم الشأن المستحقُّ للحمد، بينما الكبير يقال: فيما يجب له من صفة الحمد (أبو هلال العسكري، 134)، وقال الراغب: عظم الشيء((أصلهُ كبرَ عظْمُه ثم استعيرَ لكلِّ كبيرٍ فأُجريَ مجراهُ محْسوساً كان أو معْقولاً، عيناً كان أو معنًى...)) (الراغب الأصفهاني، مادّة (عظم)، 447) ثم إنّ صفة العظيم تكون في تعظيم الشيء من جهة الجنس ومن جهة التضعيف (يُنظر: أبو هلال العسكري، 134).
الخطاب القُرآنيّ دائماً يُؤثر رفعة الأسلوب، من حيث إنّه يفضّل استعمال كلمة أدبيّة على أُخرى شائعة عاميّة (يُنظر : د. أحمد أحمد بدوي، 57) ذلك من بلاغة القُرآن الكريم، وعلى هذا الوجه جاءت مصاحبة عظيم للقول (**إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا**) بمعنى الأمر العظيم الذي جاؤوا به من الافتراء على الله عزّ وجلّ، فعظيم مصاحبة بيانيّة للقول حُملت هنا على محمل السلبية والذّم وذلك في سياق المكذبين والمفترين، إذ نزلت هذه الآية ((في اليهود لأنّهم قالوا هذه المقالة من أن الملائكة هم بنات الله)) (ابن عطية، 458/3)، وعليه ناسب إسناد صفة عظيم للشيء العظيم والكبير الذي أتوا به، مبالغتهم في المنكر و((القبح حيث أضفتم إليه الأولاد ثم حيث فضلتم عليه تعالى أنفسكم، فجعلتم له ما تكرهون لأنفسكم، ثم نسبة الملائكة الذين هم من شريف ما خلق إلى

مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة
تربية وعلوم إنسانية
Issn: 2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e-copy
IF: Ref.No: 2020J101
DOI: 1018756/2020J101
code ARCI-2007-1110

العدد الخاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي للانجازات البحثية الحديثة
المنعقد الكترونياً بتاريخ: 10-18/ 8 / 2020

تاريخ النشر: تشرين الثاني 2020

الأنوثة)) (أبو حيّان الأندلسي، 36/6)، ثم بيّن ابن عاشور صفة (العظيم)، قائلاً: ((العظيم: القويّ . والمراد هنا أنّه عظيم في الفساد والبطلان بقرينة سياق الإنكار. ولا أبلغ في تقبيح قولهم من وصفه بالعظيم، لأنّه قول مدخول من جوانبه لاقتضائه إيثار الله بأدْوَن صنفي النبوّة مع تخويلهم الصنف الأشرف. ثم ما يقتضيه ذلك من نسبته خصائص الأجسام لله تعالى من تركيب وتولّد واحتياج إلى الأبناء للإعانة وليخلفوا الأصل بعد زواله، فأي فساد أعظم من هذا)) (ابن عاشور، 108/15)، فمصاحبة القول لهذهِ الصفة كانت على سبيل أقوالهم وأفعالهم في انحراف اعتقادهم، حيث يُعدّ الاعتقاد بوجود ابن الله إهانة عظيمة – كما يعلله الشيرازي- لمحضره تعالى المقدّس، ومن ثم إهانة لمقام الملائكة من كونهم إناثاً، فإساءتهم للرب من حيث إن له جسما وإنّ له الصفات الجسمانية(يُنظر: الشيرازي، 8/ 324) . فأعطت صفة العظمة، العظيم من القول والكبير من الإنكار لوحدانية سبحانه وتعالى، فكان القول ((عظيماً في شناعته وبشاعته، عظيماً في جرأته ووقاحته، عظيماً في فخامة الافتراء فيه، عظيماً في خروجه عن التصوّر والتصديق)) (سيد قطب، 2230/4).

8- قولاً بليغاً

قوله تعالى: **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً﴾ (سورة النساء، 63).**

بليغاً: مشتق من الفعل بلغ، وهو ما يعني الوصول والانتهاء إلى مقصد الشيء، كما تدل عليه معاجم اللغة، فإنّ ((بَلَغَ) الْبَاءُ وَاللَّامُ وَالْغَيْنُ أَصْلٌ وَاحِدٌ وَهُوَ الْوُصُولُ إلى الشَّيْءِ. تَقُولُ بَلَغْتُ الْمَكَانَ، إِذَا وَصَلْتَ إِلَيْهِ. وَقَدْ تُسَمَّى الْمُشَارَفَةُ بُلُوغًا بِحَقِّ الْمُقَارَبَةِ...)) (ابن فارس، مادّة بلغ، ٣٠١/١)، فالوصول والانتهاء إلى الشيء الذي تعنيه مفردة بلغ يصاحبهأيضا فعلية الإدراك التي هي الغاية المهمّة من ذلك الوصول والانتهاء، والتحقيق في مادة بلغ هو أنّ أصل المادّة ((هو الوصول إلى الحدّ الأعلى والمرتبة المنتهى. وهذا هو الفرق بينها وبين مادّة الوصول. فلا يقال- وصلت الثمار، ولا وصل الصبيّ، ولا وصل أشدّه)) (حسن المصطفوي، ١/٣٦٠). وبهذا يظهر اللطف في اختيار هذه المادّة في جميع موارد استعمالاتها، فإنّ هذا القيد منظور ومحفوظ في كلّ واحد منها)) (م.ن، 360/1).

والفرق بين الإيصال أو الوصول والإبلاغ هو ((أنّ الإبلاغ أشدّ اقتضاءً للمنتهى إليه من الإيصال، لأنّه يقتضي بلوغ الصبيّ فهمه وعقله، كالبلاغة التي تصل إلى القلب ... والإبلاغ إيصال ما فيه بيان للإفهام)) (قسم القُرآن بمجمع البحوث الإسلامية، 562/6).

ولما كان إطلاق القول في -هذه المرة - مدعاة لجلب التأثير والترغيب؛ بوصف الطرف المقابل سبب اختيار اللفظ ولا سيما في المنافقين الذين لا تثبت لهم وجهة معينة في السلوك والقول، فعليه

مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة
تربية وعلوم إنسانية
Issn: 2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e-copy
IF: Ref.No: 2020J101
DOI: 1018756/2020J101
code ARCI-2007-1110

العدد الخاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي للانجازات البحثية الحديثة
المنعقد الكترونياً بتاريخ: 10-18/ 8 / 2020

تاريخ النشر: تشرين الثاني 2020

جاءت بلاغة إطلاقه (القول) أو محل استعماله في غاية البلاغة القرآنية وأدقها استعمالاً وتعبيراً فالبلاغة - كما هي في مفهومها - الوصول والانتهاء إلى الشيء المراد.

فليس هنا المراد الوصول إلى قلب المنافق فحسب، بل للتأثير فيهأيضا، فـ(قولاً بليغاً) ((يبلغ منهم ويؤثر فيهم، أمره بالتجافي عن ذنوبهم والنصح لهم والمبالغة فيه بالترغيب والترهيب، وذلك مقتضى شفقة الأنبياء " عليهم السلام"... والقول البليغ في الأصل هو الذي يطابق مدلوله المقصود به)) (ناصر الدين البيضاوي، ٢ / ٨١).

فبلاغة القول ناسبت المقام والسياق من حيث إطلاق الصفة (بليغاً) من جهة ومن حيث التأثير من باب دلالة المفردة (بلغ) من جهة أُخرى؛ لذا أطلق صفة بليغ وصفاً لذلك الإرشاد والوعظ، إذ ((أمر تعالى بالوعظ، ثم أمر أن يكون ذلك الوعظ بالقول البالغ، وهو أن يكون كاملاً بليغاً طويلاً حسن الألفاظ حسن المعاني مشتملاً على الترغيب والترهيب والإحذار والإنذار والثواب والعقاب، فإنّ الكلام إذا كان هكذا عظم وقعه في القلب، وإذا كان مختصراً ركيك اللفظ قليل المعنى لم يؤثر البتة في القلب)) (الرازي، 164/10)، وقال البقاعي : (("قولاً بليغاً " أي يكون في غاية البلاغة في حد ذاته)) (البقاعي، 274/2).

كما أنّ مناسبات التعبير القُرآنيّ في النصّ الكريم جاءت ملائمة لبلاغة القول، حيث إنّ قوله (أولئك) تعبير لإشارة البعد وهؤلاء المنافقون بعيدون في أنفسهم وقلوبهم عن الإسلام ؛ لذا جاء الإعراض عن عقابهم ببلاغة القول في أنفسهم ترقيقاً لهم وللتأثير عليهم، فهو تعبير عجيب - كما يصفه سيد قطب -قائلاً: ((والتعبير العجيب: " **وَ قُلْ لَهُمْ.. فِي أَنْفُسِهِمْ.. قَوْلًا بَلِيغاً** "تعبير مصور كأنّما القول يودع مباشرة في الأنفس، ويستقر مباشرة في القلوب، وهو يرغبهم في العودة والتوبة والاستقامة والاطمئنان إلى كنف الله وكنف رسوله.. بعد كل ما بدا منهم من الميل إلى الاحتكام إلى الطاغوت...)) (سيد قطب، ٦٩٥/٢).

ولابدّ من الإشارة إلى أنّ: ((في الآية دلالة على فضل البلاغة، وأنّها أحد أقسام الحكمة، لما فيها من بلوغ المعنى الذي يحتاج إلى التفسير باللفظ الوجيز مع حسن الترتيب)) (قسم القُرآن بمجمع البحوث الإسلامية، 6 / 597).

9- قولٌ معروفٌ:

كقوله تعالى: ﴿ **طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ**﴾ (سورة محمد، 21)، قد ورد هذا الوصف المصاحب للقول في سياق المنافقين وفي مقابل ((الكلمات الهزيلة المنكرة التي كان يتفوّه بها المنافقون بعد نزول آيات الجهاد ...)) (الشيرازي، 238/16)، فتلك المصاحبة قد أوحت أن إطلاق القول كان على سبيل التسليم والإذعان والانقياد للأمر الإلهي (القتال)، أي السمع والطاعة (يُنظر: ابن عاشور، 109/26، والبقاعي، 168/7، والطباطبائي، 244/18، وسيد قطب، 6/ 3279).

مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة
تربية وعلوم إنسانية
Issn: 2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e-copy
IF: Ref.No: 2020J101
DOI: 1018756/2020J101
code ARCI-2007-1110

العـدد الخاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي للانجازات البحثية الحديثة
المنعقد الكترونياً بتاريخ: 10-18/ 8 / 2020

تاريخ النشر: تشرين الثاني 2020

وفي قوله تعالى: ﴿ **قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ** ﴾ (سورة البقرة، 263).

تلك المصاحبة قد استعملها التعبير القُرآنيّ في هذا الموضع في حالة الرفع، وقد استعملها ثانية في حالة النصب ولكلّ منهما غاية بلاغية اقتضاها المقام والسّياق، بل إنّ الاستعمال القُرآنيّ في الصيغة نفسها يُؤذن بإشعار دلالة جديدة تؤديها اللفظة نفسها مختلفة دلاليّاً عن لفظة شبيهة لها في اللفظ .

مصاحبة (معروف) للقول كانت في سياق بلاغة الإرشاد والتسلية في الرد الجميل للسائل، فقد ورد في الميزان، المعروف من القول ((ما لا ينكره النّاس بحسب العادة ...)) (الطباطبائي، 393/2)، إذ توحي هذه المصاحبة من طريق بيانيّ أن الصدقة في ظاهرها وباطنها لا تساوي المعروف من القول، فالمأثور الديني من السنّة النبوية يدرك الصدقة من ظاهر الكلمة الطيبة كما جاء في الحديث: ((الكلمة الطيبة صدقة)) (ابن حجر العسقلاني، كتاب الأدب، 50/2)؛ بوصف القول المعروف فضلاً عن المغفرة الوارد ذكرها في النصّ ((يُؤدّيان الوظيفة الأولى للصدقة من تهذيب النفوس وتأليف القلوب)) (سيد قطب، 308/1)، ولأن القول المعروف فيه أجر والصدقة المتبوعة بالأذى لا أجر فيها (يُنظر: ابن عطية، 357/1)، من هنا فالمعروف ردّ جميل (يُنظر: م.ن، 357/1) . يتبعه الإعطاء، إذ قيل حيث ((لا يوجع قلب المتعرّض بحسب حاله وحال القائل)) (البقاعي، 516/1).

10- قولاً من ربّ رحيم

قوله تعالى: ﴿ **سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ** ﴾ سورة يس: 58

في عادة التعبير القرآني لصفات القول تأتي للوعظ والدعاء والدعوة للكلمة الطيبة، لكن هنا جاءت صفة فريدة على نحو لم يكن مسبوقاً به مطلقاً في نعوت القول، فهو في سياق أهل الجنة الذين دخلوا إلى مقرّهم الدائم من النعيم الذي لا يزول ؛ ليأتي هذا القول (قولاً من رب رحيم) دعوة لهم إلى التكريم والمنزلة والرفعة، فهو تحية من الرب العظيم لهم، فتحية ذلك القول من جهته تعالى خالصة بلا واسطة(يُنظر: الشوكاني، ٣٧٧/٤، والبقاعي، ٢٧٢/٦)، فتخصيص القول من الرب، ومن ثم بالرحمة إشعار بصفتين كما يحددها السامرائي التحية أولاً وأنّه سلام خالص لهم، وعليه لم يقل سلام عليكم، وخُصّص من الرب.

فتخصيص القول بالرب: " وبالرحمة ؛ بوصف أن (سلام عليكم) تتضمن معنى واحدا وهو التحية فقط (يُنظر: الدكتور فاضل صالح السامرائي، ٢/ ٢٠٨)، قولاً من رب" أي دائم الإحسان، " فضلاً عن ذلك فالرب هو المربي والراعي لأمورهم، أمّا صفة "رحيم" فالرحمة هي مما يحتاجون إليه، والجنة هي مستقر رحمته، رحمة لا انقطاع لها (يُنظر: م.ن، ٢/ ٢٠٨).

مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة
تربية وعلوم إنسانية
Issn: 2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e-copy
IF: Ref.No: 2020J101
DOI: 1018756/2020J101
code ARCI-2007-1110

العدد الخاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي للانجازات البحثية الحديثة
المنعقد الكترونياً بتاريخ: 10-18/ 8 / 2020

تاريخ النشر: تشرين الثاني 2020

وجاءت إضافة لفظة (رب) معبّرة عن لمسة بيانيّة ؛بوصف (الرب) تعبيراً اختيرت إضافته لشدّة مناسبته للإكرام والرضا الذي هم فيه أهل الجنّة (يُنظر : ابن عاشور، 44/23) .

11- قولاً معروفاً، كلاهما جاء في القول والعمل أو الفعل

القول هنا وسيلة دعائية في التعامل الحسن أو وسيلة حسنة للسلوك.

12- قولاً سديداً

وجرى في الاستعمال القُرآنيّ ورود الصفات في سياق بعضها البعض، حيث أخذ سياقهما في تحديد أنصبة الورثة والأيتام، ومضت هاتان الصفتان(معروفاً، وسديداً) بجوار بعضها البعض، إلا أنّ هذا الجوار مؤذن بالتغاير من حيث المعنى والدلالة البيانية في المصاحبة للقول .

كما في قوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا**﴾ (سورة النساء، 8)، وقوله تعالى: ﴿ **وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا** ﴾ (سورة النساء، 9) .

قال المعجميون في دلالة الوصف **(معروفاً)**: (العين والراء والفاء) له أصلان صحيحانيدل أحدهما على السكون والطُّمانينة، وسمي المعروف بذلك لأن النفوس تسكن إليه(يُنظر: ابن فارس، مادّة (عرف)، 281/4)، تستعمل مادّة المعروف في جميع موارد الخير والصلاح والفلاح والمستحسن والفريضة والجميل، كما عرّفه الراغب الاصفهاني ((اسمٌ لكلِّ فِعل يُعرفُ بالعقلِ أو الشّرْعِ حُسنُهُ، والمُنكرُ ما يُنْكَرُ بِهِما)) (الراغب الأصفهاني، مادّة (عرف)، 436).

أمّا (سديداً)، فـــ (سدّ) يردّها ابن فارس إلى أنّ((السين والدال أصل واحد يدلّ على ردم شيء وملاءمته، من ذلك سَدَدْت الثلمةَ سَدّاً ... ومن ذلك السَّديد أي الاستقامة)) (ابن فارس مادّة (سدّ)، 66/3) . والسداد هو الصواب من القول والفعل (يُنظر: الفيومي، مادّة (سدّ)، 142)، حيث الأصل الواحد في هذه المادّة هو((الحجز مع الاستحكام وهذا المعنى يختلف باختلاف الموضوعات، ففي كلّ شيء بحسبه)) (حسن المصطفوي، مادّة (سدّ)، 12/ 97)، السديد في القول ((ما كان متقناً حقّاً مانعاً عن التشابه . وفي العمل لأن يكون صحيحاً وحقّاً لا يطرؤه باطل ...)) (م.ن، مادّة (سدّ)، 97/12) .

يتضّح ممّا أورده أصحاب المعاجم أن (المعروف) صفة لها مدخل فعل يدخل في القول والفعل على حدّ سواء، و(السديد) صفة تدل على الفعل أكثر منه في القول، وعليه لعلّ الاستعمال القُرآنيّ اختير في النصّ الأول من السورة القول (المعروف)، وفي النصّ الثاني استعمل (سديداً) مع تشابه السياق والمقام وهو خطاب المؤمنين.

ويحسب أنّ ظاهر (القول المعروف) هو في الاسترحام والاسترفاق والشفقة بهؤلاء الورثة أو الأيتام، وعليه كان مجيء (القول المعروف) في فعلية (القول) بينما في (القول السديد) لم يؤتمر

مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة
تربية وعلوم إنسانية
Issn: 2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e-copy
IF: Ref.No: 2020J101
DOI: 1018756/2020J101
code ARCI-2007-1110

العدد الخاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي للانجازات البحثية الحديثة
المنعقد الكترونياً بتاريخ: 10-18/ 8 / 2020

تاريخ النشر: تشرين الثاني 2020

المخاطب (الأولياء) بالترحّم والتروّف، بل كان (القول السديد) في فعلية الفعل، وهو الجري العملي في إقامة الحقّ والاستقامة.

ومن خلال وقفات المفسّرين عند هذين النصّين، ومنها تفسيرّ ابن عطية لكلّ من القول المعروف والقول السديد من خلال تلك الثنائية (القول والفعل)، فإن القول المعروف: كلّ ما يُؤنس به من دعاء أو غير ذلك، و(سديداً): أي المصيب للحقّ (يُنظر: ابن عطية، 13/2و14، والبقاعي، 216/2)، ويؤيده ذلكأيضا البقاعي في تفسيره، وإن القول المعروف عمل يتضمّن القول مع دالة الفعل وهو الإعطاء، عطاءً حسناً سائغاً في الشرع مقبولاً تطيب بهم نفوسهم (يُنظر: البقاعي، 2/ 218).

وقد ذكر الطباطبائي: ((" وليقولوا قولاً سديداً " كناية عن اتخاذ طريق التحريم والعمل بها وهضم حقوق الأيتام الصغار، والكناية بالقول عن الفعل للملازمة بينهما غالباً شائع في اللسان كقوله تعالى: ﴿ **وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا**﴾ (سورة البقرة، 83)، ويؤيد توصيف القول بالسديد دون المعروف واللين ونحوهما، فإن ظاهر السداد في القول كونه قابلاً للاعتقاد والعمل به لا قابلاً لأن يحفظ به كرامة الناس وحرمتهم)) (الطباطبائي، 207/4).

وبما أن سياق النصّين متشابه في مقام الفئة الضعيفة من الأيتام والفئات الأُخرى التي تساندها في المقام نفسه، يُعلّل البقاعي ذلك التنبيه بالقول مرّتين، وإعادة الوصية باليتامى مرّة بعد أُخرى، لما في ((التصوير في التأثير في النفس ما ليس لغيره ؛ أعاد الوصية بهم لضعفهم مصوراً حالهم مبيناً أن القول المعروف هو الصواب الذي لا خلل فيه .... وقولاً سديداً أي عدلاً قاصداً صواباً)) (البقاعي، 218/2).

وأيضاً وردت مصاحبة (معروفاً) بيانياً متلازمة لفئة نظيرة لما سبق، كما في قوله تعالى : ﴿**وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا**﴾ (سورة النساء، 5)، من حيث توجيه الخطاب للأولياء الذين لا رشد لهم من الأولاد، إذ جاءت المصاحبة تحمل فعلية القول من حيث القول لا الفعل لصفة (قولاً معروفاً) أي ((عدّة جميلة تطيب بها نفوسهم، والمعروف ما عرفه الشرع أو العقل بالحسن والمنكر ...)) (البيضاوي، 60/2)، فلعلّه يقتضيها المقام من إطلاق القول المعروف، فـإنّ((ذلك ربما أنفع في كثير من الإعطاء وأقطع للشر ؛ والحجر على السفيه مندرج في هذه الآية، لأنّ ترك الحجر عليه من الإيتاء المنهي عنه)) (البقاعي، 216/2)، فالمعروف هنا من حيث ((اللفظ كلّ كلام تعرفه النفوس وتأنس إليه ويقتضيه الشرع)) (ابن عطية، 10/2، وأبو حيّان الأندلسي، 178/3).

كما وردت (معروفاً) في سياق آخر يعطي تصاحباً بيانيّاً لفريدة قرآنيّة أُخرى، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أو أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ**

مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة
تربية وعلوم إنسانية
Issn: 2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e-copy
IF: Ref.No: 2020J101
DOI: 1018756/2020J101
code ARCI-2007-1110

العدد الخاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي للانجازات البحثية الحديثة
المنعقد الكترونياً بتاريخ: 10-18/ 8 / 2020

تاريخ النشر: تشرين الثاني 2020

الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (سورة البقرة، 235) .

حمل سياق القول هنا محمل النهي عن المخالفة لحدود الله في سياق خطبة النساء، فالقول المعروف اختلف مع بقية السياقات الواردة له في النصوص المختارة السابقة من البحث فلم يرد في سبيل الكلمة الطيّبة والرّد الجميل، فكلمة(معروفاً) بيان أريد منه التصريح في الحلال من القول في خطبة النسّاء، أي قولاً معروفاً ((لا يستحي منه عند أحد من الناس ... وهو التعريض)) (البقاعي، 1/ 444)، والتعريض هنا يحمل دلالة الإباحة من القول المُراد القول فيه(يُنظر: ابن عطية، 316/1)، ومن ثم يكون قولاً ((لا نكر فيه ولا فحش، ولا مخالفة لحدود الله التي بينها في الموقف الدقيق)) (سيد قطب، 256/1).

وفضلاً عن ذلك، فإن طريق الاستثناء أطل به السّياق، ولا سيما الاستثناء المنقطع الذي أعطى خاصيّة بيانية لمفردة القول المعروف ؛((تنبيهاً على أن المحل ضيق والأمر فيه عسر، والأصل فيه الحظر)) (الزمخشري) 460/1).

كما وردت صفة (سديد) في سياق آخر مع مقام المؤمنين كما في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا** ﴾ (سورة الأحزاب، 70)، على سبيل التصاحب البياني كصفة للعمل ولا سيّما القول الصالح، إذ قال الرازي ((أمّا الأفعال فالخير، وأمّا الأقوال فالحقّ لأنّ من أتى بالخير وترك الشرّ فقد اتقى الله ...)) (الرازي، 235/25) ؛ لأنّ ((حفظ اللسان رأس الخير كله، فالمعنى راقبوا الله في ألسنتكم، وتسديد قولكم ...)) (الزمخشري، 5/ 101)، إذ أوصى الله تعالى المؤمنين بـــ((القوال السداد وذلك يعمّ جميع الخيرات)) (الرازي، 235/25)، من هنا كانت المصاحبة البيانيّة (السديد) للقول صفة للكلمة الحقّة التي تسلك بصاحبها نحو طريق الاستقامة سبيلاً نحو العمل الصالح، وقد علّل بعض المُفسّرين المحدثين بيانية القول السديد، قائلاً: ((القول السديد أي المحكم المنيع الذي لا يعتريه الخلل، والموافق للحقّ والواقع، ويعني القول الذي يقف كالسدّ المنيع أمام أمواج الفساد والباطل)) (الشيرازي، 13/ 238)، وقد فسّره سيد قطب، أي كونه بعيداً عن اللمز والعيب إصلاحاً لأعمال المؤمنين وغفراناً لذنوبهم (يُنظر: سيد قطب، 2881/5).

13- القول الثابت

في قوله تعالى: ﴿ **يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ** ﴾ (سورة إبراهيم، 27) .

تردّ المعاجم العربية دلالة (ثبت) إلى الدوام والاستمرار والاستقرار، فابن فارس يردّها إلى((كلمة واحدة وهي دوام الشيء . يقال: ثَبَتَ ثَباتاً وثُبوتاً، ورجل ثَبْتٌ وثَبِيتٌ)) (ابن فارس، مادّة (ثبت)، 399/1)، والأصل واحد في هذه المادّة هو ((الاستقرار والاستدامة ما كان، وهو في مقابل الزوال،

مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة
تربية وعلوم إنسانية
Issn: 2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e-copy
IF: Ref.No: 2020J101
DOI: 1018756/2020J101
code ARCI-2007-1110

العدد الخاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي للانجازات البحثية الحديثة
المنعقد الكترونياً بتاريخ: 10-18/ 8 / 2020

تاريخ النشر: تشرين الثاني 2020

وهذا المعنى إمّا في الموضوع أو في الحكم أو في القول أو في الرأي أو غيرها، فيقال: حكمه ثابت، أو قوله ثابت، أو رأيه ثابت، وهو ثابت نفسه)) (حسن المصطفوي، مادّة (ثبت)، 7/2 و8).

وردت هذه المصاحبة للقول في سياق الحديث عن الإيمان الثابت في ضمائر المؤمنين فيثمر العمل الصالح عندهم، وجاء في التحقيق أنّ القول الثابت هو ((مظهر العقيدة والكاشف عمّا في القلب)) (م.ن، مادّة (ثبت)، 2/ 8)، وعليه فالله عزّ وجلّ يثبت المؤمنين ويقرّهم في كرامته بـــ((القول الثابت الذي وجد منهم وهو كلمة الإيمان لأنه ثابت بالحجج والأدلة ...)) (الطباطبائي، 52/12)، فكلمة الإيمان التي وصفت بالقول الثابت هي كلمة حوت العمل الصالح الذي ثبت عليه المؤمنون في حال الدنيا، وعليه فـــ((الثبات في المعرفة والطاعة يُوجب الثبات في الثواب والكرامة من الله تعالى)) (الرازي، 19 /124، ويُنظر: البقاعي، 4/ 185).

14- قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ

قد وردت هذه المصاحبة وانفردت في سياق الظالمين ولا سيما في سياق نصين من النصّوص القُرآنيّة كما في قوله تعالى: ﴿ **فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ** ﴾(سورة البقرة، 235)، وقوله تعالى: ﴿ **فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ** ﴾ (سورة الأعراف، 162).

يوحي ظاهر تلك المصاحبة بمعانٍ منها التغيير والتبديل والتحريف وعدم الامتثال للأمر الألهي، ولعلّ اختيار هذه المصاحبة دون بقية المصاحبات البيانية التي استعملها التعبير القُرآنيّ ليجمع هذه المعاني كلها ولا سيما أنّ تلك الصفة تكرّر ورودها على مستوى سورتين وفي سياقين متشابهين (الظالمين) حيث إنّ تبديل القول ((تبديل جميع ما قاله الله لهم، وما حدثهم به الناس عن حال القرية، للإشارة إلى جميع هذا بُني فعل قيل إلى المجهول إيجازاً))(ابن عاشور، 516/١)، أما كلمة غير فهي ((كلمة تفهم انتفاء وإثبات ضد ما انتفى، وقال: ذكر تعالى عدولهم عن كل ذلك واشتغالهم ببطونهم وعاجل دنياهم ...)) (البقاعي، ١٤٣/١)، فكانت تلك المصاحبة بيانا للأمر الإلهي الذي أمروا به، فجاء التعبير بياناً لنكرانهم وجحودهم، وشمل التعبير مخالفة جميع أوامر الرب، لكنّ ذلك الانحراف لفرقة معروفة، والتعبير الذي اقتضى بيان الحال لم يكن لجميع القوم، بل لفريق معروف عندهم، وهذا ما اقتضته الصورة المناسبة من طريق الموصولية (**غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ**)؛((لعلم المخاطبين به وبتلك الصلة فدلّ على أن التبديل ليس من فعل جميع القوم أو معظمهم لأنّ الآية تذكير لليهود بما هو معلوم لهم من حوادثهم)) (ابن عاشور، 516/١). والحال نفسه في آية الأعراف، فالحال هنا أيضا ليس مخافة الأمر الإلهي والجهر بها فحسب، بل الاحتيال على النصوص القُرآنيّة ؛ ليفلتوا منها(يُنظر: سيد قطب 1382/3).

مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة
تربية وعلوم إنسانية
Issn: 2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e-copy
IF: Ref.No: 2020J101
DOI: 1018756/2020J101
code ARCI-2007-1110

العـدد الخاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي للانجازات البحثية الحديثة
المنعقد الكترونياً بتاريخ: 10-18/ 8 / 2020

تاريخ النشر: تشرين الثاني 2020

الخاتمـــة

في الختام يمكن إجمال بعض النتائج التي أسفر عنها البحث في النقاط الآتية:

1- تعددت صفات القول بألفاظ مختلفة – غالبا- ومتشابهة – أحياناً- في بعض المواضع، وقد أنتج هذا الاختلاف والتشابه لمسات بيانية متعددة اقتضاها المقام والسّياق الذي ترد فيه، على وفق المحمولات الدلاليّة للقول في ظلّ السّياق الذي يتضمّنه.

2- بما أنّ المعروف هو اسم جامع لكل فعل خير وحسن، فضلاً عما يبعثه إطلاق المعروف سواء أكان في القول أو الفعل من السكون والطمأنينة في النفس الإنسانية، فعليه كثر استعماله في التعبير القُرآنيّ في خطاب كلّ الفئات ولاسيما في طبقات المستضعفين من الأيتام والنساء، ومن هنا ظهر أنّ مصاحبة القول لصفة (المعروف) أكثر وروداً من بقية الصفات الأخرى.

3- أدت وظيفة القول في بعض النصوص المختارة تساوقاً مع فعلية الفعل، فوظّف مقام القول للآذان والإشعار بالأمر الإلهي في بعض مصاحباته البيانية، وأعطى وظيفة (القول والفعل) معاً، كما في المصاحبة البيانية لصفة (بليغاً).

4- حملت مصاحبات القول تعليلات بيانية في الاستعمال من حيث الترغيب والترهيب فضلاً عن الإرشاد والتوجيه الأخلاقي، كما وردت في مصاحبة القول المعروف ومصاحبة (قولاً غير الذي قيل لهم) إذ وردت تحذيراً للظالمين بإتيان العذاب لهم.

5- تتغير مصاحبات القول باختلاف المقام، إذ حملت بعض النعوت الخطاب في مقام المؤمنين، وعليه اختلف تركيبها البياني من حيث الاستعمال التعبيري ولاسيّما في مصاحبة (سلاماً قولاً من رب رحيم). تفرّدت هذه الصفة وانمازت عن غيرها من مصاحبات القول الوصفيّة بسبب ورودها في سياق الحديث عن أهل الجنة المكرمين بنعيمها .

مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة
تربية وعلوم إنسانية
Issn: 2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e-copy
IF: Ref.No: 2020J101
DOI: 1018756/2020J101
code ARCI-2007-1110

العدد الخاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي للانجازات البحثية الحديثة
المنعقد الكترونياً بتاريخ: 10-18/ 8 / 2020

تاريخ النشر: تشرين الثاني 2020

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

- الآلوسي، شهاب الدين السيد محمود (ت: 1270 هـ)، روح المعاني في تفسير القُرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت – لبنان، دار إحياء التراث العربي، (ب. ط)، (ب.ت).
- ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر، (ب. ط)، 1984.
- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي(ت: 546 هـ)، المُحرّر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، منشورات محمد علي بيضون، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 2001 .
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا (ت: 395 هـ)، معجم مقاييس اللغة،، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، بيروت – لبنان، دار الفكر للطباعة، (ب. ط)، 1979.
- ابن قيم الجوزية، الفوائد المشوق إلى علوم القُرآن وعلم البيان،، الناشر: دار الكتب العلمية، (ب. ط)، بيروت - لبنان، (ب.ت).
- ابن منظور، لسان العرب، بيروت – لبنان، دار صادر، ط1، 2011 .
- الأندلسي، أبو حيّان محمد بن يوسف (ت: 745 هـ)، تفسير البحر المحيط، دراسة وتحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1993 .
- بدوي، أحمد أحمد، من بلاغة القُرآن، مصر – القاهرة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، (ب. ط)، 2005.
- البقاعي، برهان الدين ابي الحسن إبراهيم بن عمر (ت: 885 هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، (ب.ط)، (ب.ت) .
- بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني للقُرآن ومسائل ابن الأزرق، مصر – القاهرة، دار المعارف، (ب.ط)، (ب.ت) .
- البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، بيروت – لبنان، دار إحياء التراث العربي لطباعة والنشر والتوزيع، ط1، (ب.ت) .
- الجرجاني، الشريف أبو الحسن علي بن محمد الحنفي (ت: 816هـ)، معجم التعريفات، بيروت – لبنان، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1405 .
- الرازي، محمد فخر الدين (ت: 604 هـ)، تفسير فخر الدين المشهور بـ(التفسير الكبير، ومفاتيح الغيب)، بيروت – لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1981.
- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت: 502 هـ)، المفردات في غريب القُرآن، تحقيق: إبراهيم شمس الدّين، بيروت – لبنان، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، ط1، 2009 .
- الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (ت: 538 هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دراسة وتحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، الرياض، مكتبة العبيكان، ط1، 1998.
- السامرائي، فاضل صالح، التعبير القرآني، عمان، دار عمار، ط5، 2007 .

مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة
تربية وعلوم إنسانية
Issn: 2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e-copy
IF: Ref.No: 2020J101
DOI: 1018756/2020J101
code ARCI-2007-1110

العـدد الخاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي للانجازات البحثية الحديثة
المنعقد الكترونياً بتاريخ: 10-18/ 8 / 2020

تاريخ النشر: تشرين الثاني 2020

- السامرائي، فاضل صالح، على طريق التفسير البياني، الإمارات العربية المتّحدة- الشارقة، الناشر: كلية الآداب – جامعة الشارقة، (ب. ط)، 2002 .
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني (ت: 1205هـ)، فتح القدير – الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، بيروت – لبنان، عالم الكتب، (ب. ط)، (ب.ت) .
- الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزّل، بيروت – لبنان، الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 2009 .
- الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القُرآن، بيروت – لبنان، منشورات الأعلمي للمطبوعات، ط1، 1997.
- العسقلاني، الحافظ أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت – لبنان، دار الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2019 .
- العسكري، أبو هلال، الفُرُوقُ اللُّغويَة، تقديم وتحقيق: إيهاب محمد إبراهيم، القاهرة، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع والتصدير، ط1،، 2013 .
- عطية، لواء عبد الحسن المصاحبة المعجمية (المفهوم، الأنماط، والوظائف) بين الموروث العربي والمنجز اللساني، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، (ب.ط)، 1971 .
- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت: 175هـ) كتاب العين،، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، بيروت – لبنان- منشورات محمد علي بيضون – دار الكتب العلمية، ط1، 2003.
- الفيومي، أحمد، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (للرافعي)، الكويت، مكتبة دار الأقصى، (ب. ط)، 1418 هـ .
- قدامة بن جعفر، أبي الفرج، نقد الشعر، تحقيق: عبد المنعم خفاجي، مطبعة الجوائب، ط1، 1978 .
- القرطبي، عبد الله محمد بن علي بن أحمد بن أبي بكر (ت: 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي، بيروت – لبنان، مؤسسة الرسالة، ط1،، 2006 .
- قسم القُرآن بمجمع البحوث الإسلامية: تأليف وتحقيق، المعجم في فقه لغة القُرآن وسرّ بلاغته، إيران – مشهد، ط2، 1426 .
- قطب، سيد، في ظلال القُرآن، مصر - القاهرة، دار الشروق، ط17، 1412 هـ.
- المصطفويّ، حسن، التحقيق في كلمات القُرآن الكريم، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط3، 1430 هـ.